

٢١ - إن مشيت على شارع

إن مشيت على شارع لا يؤدي إلي هاوية
قل لمن يجمعون القمامة : شكراً !
إن رجعت إلي البيت ، حياً ، كما ترجع القافية
بلا خلل ، قل لنفسك : شكراً !
إن توقعت شيئاً وخانك حدسك ، فإذهب غداً
إلي حيث كنت ، وقل للفراشة : شكراً !
إن صرخت بكل قواك ، ورد عليك الصدى
"من هناك ؟" فقل للهوية : شكراً !
إن نظرت إلي وردة دون أن توجعك
وفرحت بها ، قل لقلبك : شكراً !
إن نهضت صباحاً ، ولم تجد الآخرين معك
يفركون جفونك ، قل للبصيرة : شكراً !
إن تذكرت حرفاً من اسمك واسم بلادك ،
كن ولداً طيباً !
ليقول لك الرب : شكراً !

٢٢ - أنا آت إلي ظل عينيك

أنا آت إلي ظل عينيك . . آت
من خيام الزمان البعيد ، ومن لمعان السلاسل
أنت كل النساء اللواتي
مات أزواجهن ، وكل الثواكل
أنت

أنت العيون التي فرّ منها الصباح
حين صارت أغاني البلابل
ورقا يابسا في مهب الرياح !
أنا آت إلي ظلّ عينيك . . آت
من جلود تحاك السجاجيد منها . . و من حدقات
علقت فوق جيد الأميرة عقدا .
أنت بيتي و منفاي . . أنت
أنت أرضي التي دمّرتني
أنت أرضي التي حولتني سماء . .
و أنت
كل ما قيل عنك ارتجال و كذب
لست سمراء ،
لست غزالا ،
و لست الندى و النبيذ ،
و لست
كوكبا طالعا من كتاب الأغاني القديمة
عندما ارتجّ صوت المغنين . . كنت
لغة الدم حين تصير الشوارع غابه
و تصير العيون زجاجا
و يصير الحنين جريمة
لا تموتي على شرفات الكآبة
كلّ لون على شفّتك احتفال
بالليالي التي انصرمت . .

بالنهار الذي سوف يأتي
اجعلي رقبتني عتبات التحول ،
أول سطر بسفر الجبال
الجبال التي أصبحت سلما نحو موتني !
و السياط التي احترقت فوق ظهري و ظهرك
سوف تبقى سؤال
أين سمسار كل المنابر ؟
أين الذي كان . . كان يلوك حجارة قبري و قبرك
ما الذي يجعل الكلمات عرايا ؟
ما الذي يجعل الريح شوكا ، و فحم الليالي مرايا ؟
ما الذي ينزع الجلد عني ، و يثقب عظمي ؟
ما الذي يجعل القلب مثل القذيفة ؟
وضلوع المغنين سارية للبيارق ؟
ما الذي يفرش النار تحت سرير الخليفة ؟
ما الذي يجعل الشفتين صواعق ؟
غير حزن المصعد حين يرى
أخته . . أمه . . حبه
لعبة بين أيدي الجنود
و بين سماسرة الخطب الحامية
فيعض القيود . و يأتي
إلي الموت . . يأتي
إلي ظل عينيك . . يأتي !
أنا آت إلي ظل عينيك آت

من كتاب الكلام المحنط فوق الشفاه المعادة

أكلت فرسي ، في الطريق ، جراه

مزقت جبهتي ، في الطريق ، سحابه

صلبتني على الطريق ذبابة !

فاغفري لي . .

كل هذا الهوان ،

اغفري لي

انتمائي إلي هامش يحترق !

و اغفري لي قرابة

ربطتني بزوبعة في كؤوس الورق

و اجعليني شهيد الدفاع

عن العشب

و الحب

و السخرية

عن غبار الشوارع أو غبار الشجر

عن عيون النساء جميع النساء

و عن حركات الحجر .

و اجعليني أحب الصليب الذي لا يحب

واجعليني بريقا صغيرا بعينيك

حين ينام الذهب

أنا آت إلي ظل عينيك . . آت

مثل نسر يببيعون ريش جناحه

و يببيعون نار جراحه

بقناع . و باعوا الوطن
بعصا يكسرون بها كلمات المغني
و قالوا : اذبحوا و اذبحوا . .
ثم قالوا هي الحرب كر وفر
ثم فروا . .
وفروا
وفروا . .
و تباها . . تباها . .
أوسعوهم هجاء و شتما ، و أودوا بكل الوطن !
حين كانت يداي السياج ، و كنت حديقة
لعبوا النرد تحت ظلال النعاس
حين كانت سياط جهنم تشرب جلدي
شربوا الخمر نخب انتصار الكراسي ! . .
حين مرت طوابير فرسانهم في المرايا
ساومونا على بيت شعر ، و قالوا :
ألهبوا الخيل . كل السبايا
أقبلت من خيام المنافي
كذبوا لم يكن جرحنا غير منبر
للذي باعة . . باع حطين . . باع السيوف ليبنى منبر
نحو مجد الكراسي !
أنا آت إلي ظل عينيك . . آت
من غبار الأكاذيب . . آت
من قشور الأساطير آت

أنت لي . . أنت حزني و أنت الفرح

أنت جرحي و قوس قزح

أنت قيدي و حرיתי

أنت طيني و أسطورتني

أنت لي . . أنت لي بجراحك

كل جرح حديقة !

أنت لي . . أنت لي . . بنواحك

كل صوت حقيقة

أنت شمسي التي تنطفئ

أنت ليلي الذي يشتعل

أنت موتي ، و أنت حياتي

و سأتي إلي ظل عينيك . . آت

وردة أزهرت في شفاه الصواعق

قبلة أينعت في دخان الحرائق

فاذكريني . . إذا ما رسمت القمر

فوق وجهي ، و فوق جذوع الشجر

مثلما تذكرين المطر

و كما تذكرين الحصى و الحديقة

و اذكريني ،

كما تذكرين العناوين في فهرس الشهداء

أنا صادقت أحذية الصبية الضعفاء

أنا قاومت كل عروش القياصرة الأقوياء

لم أبع مهرتي في مزاد الشعار المساوم

لم أذق خبز نائم
لم أساوم
لم أذق الطبول لعرس الجماجم
و أنا ضائع فيك بين المراثي و بين الملاحم
بين شمسي و بين الدم المستباح
جئت عينيك حين تجمد ظلي
و الأغاني اشتهدت قائلها

٢٣ - آه ، عبد الله

قال عبد الله للجّاد :
جسمي كلمات ودويّ
ضاع فيه الرعد
و البرق على السكين ،
و الوالي قوي
هكذا الدنيا . .
و أنت الآن يا جراد أقوى
ولد الله . .
و كان الشرطيّ ! . .
عادة ، لا يخرج الموتى إلي النزهة
لكن صديقي
كان مفتونا بها .
كلّ مساء
يتدلّى جسمه ، كالغصن ، من كل الشقوق

و أنا أفتح شباكي
لكي يدخل عبد الله
كي يجمعني بالأنبياء ! . .
كان عبد الله حقلا و ظهيرة
يحسن العزف على الموال ،
و الموال يمتد إلي بغداد شرقا
و إلي الشام شمالا
و ينادي في الجزيرة .
فاجئوه مرة يلثم في الموال
سيفا خشبيا . . و ضفيرة . .
حين قالوا : إنَّ هذا اللحن لغمّ
في الأساطير التي نعبدها -
قال عبد الله :
جسمي كلمات . . ودويّ
هكذا الدنيا ،
و أنت الآن يا جلال أقوى
ولد الله
و كان شرطي
عادة ، لا يعمل الموتى ،
و لكن صديقي
كان من عادته أن يضع الأقمار
في الطين ،
و أن يبذر في الأرض سماء .

و أنا أفتح شباكي
لكي يدخل عبد الله حرًا و طليقا
كالردي و الكبرياء . .
كان عبد الله حقلا
لم يرث عن جدّه إلاّ الظهيرة
و انكماش الظلّ و السمرة
عبد الله لا يعرف إلاّ
لغة الموال ، و الموال مفتون بليلى
أين ليلى ؟
لم يجدها في الظهيرة
يركض الموال في أعقاب ليلى
يقفز الموال من دائرة الظل الصغيرة
ثم يمتدّ إلي صنعاء شرقا
و إلي حمص شمالا
و ينادي في الجزيرة :
أين ليلى ؟
كان عبد الله يمتدّ مع الموال
و الموال ممنوع
يقول السيّد الجلاد :
إن البعد في الموال لغم
في الأساطير التي نعبدها
. . و تدلى رأس عبد الله
في عزّ الظهيرة .

آه ، عبد الله
و الأمسية الآن بلا موتى
و أنت الآن حل للحلول
آه . . عبد الله ،
رموز
و فصول
آه . . عبد الله ،
لا لون و لا شكل لأزهار الأفول
آه . . عبد الله ،
لا أذكر بعد الآن ما كنت تقول
آه . . عبد الله ،
لا تسمعك الأرض
و لا ليلى . .
و لا ظلّ النخيل .
و لد الله
و كانت شرطة الوالي
و مليون قتيل ! !

٢٤ - أهديتها غزلانا

وشاح المغرب الوردي فوق ضفائر الحلوة
و حبة برتقال كانت الشمس .
تحاول كفها البيضاء أن تصطادها عنوة
و تصرخ بي ، و كل صراخها همس :

أخي ! يا سلمي العالي !
أريد الشمس بالقوة !
. . و في الليل رماديّ ، رأينا الكوكب الفضي
ينقط ضوءه العسلي فوق نوافذ البيت .
وقالت ، و هي حين تقول ، تدفعني إلي الصمت :
تعال غدا لنزرعه . . مكان الشوك في الأرض !
أبي من أجلها صلّى و صام . .
و جاب أرض الهند و الإغريق
إلها راكعا لغبار رجليها
وجاع لأجلها في البيد . . أجيالا يشدّ النوق
و أقسم تحت عينيها
يمين قناعة الخالق بال مخلوق !
تنام ، فتحلم اليقظة في عيني مع السّهر
فدائيّ الربيع أنا ، و عبد نعاس عينيها
وصوفي الحصى ، و الرمل ، و الحجر
سأعبدهم ، لتلعب كالملاك ، و ظل رجليها
على الدنيا ، صلاة الأرض للمطر
حرير شوك أيّامي ، على دربي إلي غدها
حرير شوك أيّامي !
و أشهى من عصير المجد ما ألقى . . لأسعدها
و أنسى في طفولتها عذاب طفولتي الدامي
و أشرب ، كالعصافير ، الرضا و الحبّ من يدها
سأهديها غزالا ناعما كجناح أغنية

له أنف ككرملنا . .
و أقدام كأنفاس الرياح ، كخطو حريرة
و عنق طالع كطلوع سنبلنا
من الوادي . . إلي القمم السماوية !
سلاما يا وشاح الشمس ، يا منديل جنتنا
و يا قسم المحبة في أغانينا !
سلاما يا ربيعا راحلا في الجفن ! يا عسلا بغصنتنا
و يا سهر التفاؤل في أمانينا
لخضرة أعين الأطفال . . ننسج ضوء رايتنا

٢٥ - برقية من السجن

من آخر السجن ، طارت كفّ أشعاري
أنا هنا ، ووراء السور ، أشجاري
مذ جئت أدفع مهر الحرف ، ما ارتفعت
أقول للمحكم الأصفاد حول يدي :
في حجم مجدكم نعلي ، و قيّد يدي
أقول للناس ، للأحباب : نحن هنا
في اليوم ، أكبر عاما في هوى وطني
تشد أيديكم ريحا . . على نار
تطوّع الجبل المغرور . . أشجاري
غير النجوم على أسلاك أسواري
هذي أساور أشعاري و إصراري
في طول عمركم المجدول بالعار
أسرى محبتكم في الموكب الساري
فعانقوني عناق الريح للنار

